الفصل الثاني
الدولة العثمانية في فترة حكم السلطان محمد وحيد الدين (1918 – 1922)

الفصل الثاني
الدولة العثمانية في فترة حكم السلطان محمد وحيد الدين
(1922 – 1918)

اعتلاء وحيد الدين العرش العثماني

بعد وفاة السلطان محمد رشاد، اعتلى وحيد الدين العرش العثماني باسم السلطان محمد السادس، في 4 يوليو 1918، في بداية الهزيمة التي هددت استقلال الدولة العثمانية، في العام الأخير للحرب العالمية الأولى، وكان عمره حينئذ 57عاماً. وتمت مراسم البيعة في قصر طوب قابي. وكان ذلك قبل أربعة شهور من سقوط الدولة العثمانية[68].

في البداية تردد وحيد الدين في الموافقة على اعتلاء العرش، ثم وافق على اعتلائه ليفعل شيئاً للوطن في ذلك الوقت العصيب الذي تمر به الدولة، وهو يعبر عن ذلك بقوله: **"إن لم يكن في إمكاني أن أقدم شيئاً لبلدي وسلطنتي، كنت لا أقبل هذا الحمل الثقيل، وأظل مرتاحاً في چنگل كوي. إنني لم أتول السلطنة ليُكتب على قبري بعد انقضاء عمري كلمة سلطان"**[69].

---

[68]- Kadir Mısıroğlu, " bir mazlum Padişah, Sultan vahideddin", a.g.e . s. 123

[69]- كان قبول السلطان وحيد الدين للعرش يعد ذكاءً منه، ذلك الذكاء الذي يصفه باشكاتبه على فؤاد توركجلدي، بأنه ذو فكر يشبه فكر الجان. وكان أيضا شجاعة منه، حيث كان العرش العثماني في ذلك الوقت لا يمكن أن يجذب أحداً، أو يجعل أحداً يطمع في اعتلائه. انظر Necip Fazıl kısakürek, "Sultan Vahiduddin", a.g.e. s.146

- يتحدث السلطان وحيد الدين في مذكراته عن مسألة قبوله عرش السلطنة، فيقول: "بعد وفاة أخي السلطان محمد رشاد في الأيام الأخيرة للحرب، كنت في چنگل كوي، وجاء طلعت باشا وأنور باشا ومعهما خيري أفندي من أجل البيعة الرسمية، فطلبت تأجيل الحديث في هذا الأمر، لأنني في الواقع لم أكن عاشقاً للسلطنة. شعر هذا الوفد الرسمي بالدهشة أمام موقفي المتردد والمستغني. فقال طلعت باشا إن القانون الأساسي ينص على مبايعتك باعتبارك أكبر أفراد الأسرة العلية سناً، وولي عهد السلطنة. ونهض وأراد أن يمسك يدي لمبايعتي. فطلبت منه أن يمهلني حتى الغد. وانشغلت في تلك الليلة في التفكير. وفي النهاية رأيت أنني إذا لم أقبل مسئولية السلطنة التي لابد أن أضطلع بها بالإرث والاستحقاق، فسوف أصبح إنساناً حقيراً، هارباً من المسئولية الوطنية. وشعرت بميل إلى قبول مقام السلطنة بحس التضحية المجرد، وخاصة إنه لم يكن هناك في الأسرة العلية من يستطيع الاضطلاع بهذه المسئولية. وعند مبايعتي قلت لطلعت باشا: "إنني محتاج للتعزية على شيئين، أحدهما موت أخي، وهو سلطان كان يراعي المشروطية. والآخرعلى اضطراري شغل مقام دولتنا في أخطر وأدق اللحظات. وإنني أقبل السلطنة بأمل خدمة وطني. فبايعني طلعت باشا. وتم عمل مراسم البيعة الرسمية المعتادة. وقدمت الحكومة استقالتها وفق الأصول عندما يتغير السلطان. ولكنني أبقيت طلعت باشا في منصبه، وأوضحت له إنني لا أفكر في عمل أي شيء، عدا تمني انتصار أمتي في هذه الحرب الكبيرة التي دخلتوها. فأنا رئيس هذه الأمة التي مفروض أن تكون كتلة واحدة، ولكن أنتم الهيئة المسئولة. وأنا ليس لدي تصرف خاص سوى دعمكم. فلتستمروا في أداء مهمتكم. وأنا سأعمل بأحكام القانون الأساسي وأحكام المشروطية." انظرMurat Bardakçı, "şahbaba", a.g.e. s. 17,426

مراسم تقليد السيف

مراسم تقليد السيف- أي وضع السيف في خصر السلطان- تشبه مراسم وضع التاج على رأس الملك في الدول الأوروبية. وهى مراسم تدل على السلطة والمقدرة، فلم تكن علامة السلطة في السلاطين العثمانيين التاج، ولكن علامة السلطة هو تقليد سيف حضرة عمر بن الخطاب، في جامع أبي أيوب الأنصاري. فقد جرت العادة أن تتم مراسم البيعة في أول يوم لجلوس السلطان على عرشه، أما تقليد السيف فيتم تأخير مرسمة لعدة أيام بعد تولي العرش.

وقد تقلد وحيد الدين السيف في 31 أغسطس 1918. وكان المفروض أن يقلده السيف كالعادة شيخ المولوية[70] الموجود في قونية، عبد الحليم أفندي. لكن وحيد الدين لم ينسى له البرقية التي أرسلها إلى أخيه السلطان عبد الحميد بعد خلعه عن العرش التي قال فيها: "إنك لا تستحق السيف الذي حمله أجدادك". ولذلك رفض وحيد الدين أن يقلده أحد شيوخ المولوية السيف. كان موجوداً في تركيا في ذلك الوقت، أحمد الشريف السنوسي الذي حضرإلى استانبول من ليبيا، بقصد ضمان التأثير على العالم العربي، من خلال فرمان "الجهاد الأكبر" الذي أُعلن استجابة لدعوة السلطان محمد رشاد. ولما توفى السلطان محمد رشاد، ظل السنوسي في استانبول، لحين إرساله إلى الخارج لهذا الهدف. فقرر وحيد الدين أن يقوم الشيخ السنوسي بتقليده السيف. وبعد تقليده السيف قرأ السلطان الفاتحة لصاحب المقام، ثم تلقى التهنئة من الحاضرين. وقام بتقبيل السيف الذي تقلده، ووضعه على رأسه، ثم أعاده الى الكرسي، وتركه ثم عاد إلى قصره. وطلب السلطان وحيد الدين ألا يُعزف له المارش السلطاني المعتاد، وأن يُعزف بدلاً منه، المارش الذي لحنه الملحن الإيطالي (دونيزيتي) للسلطان محمود[71].

---

[70]- المولوية من أهم الطرق الصوفية. مؤسسها مولانا جلال الدين الرومي المتوفي عام 683 هـ. وهو من أعظم شعراء التصوف، فارسي الأصل والمولد، عاش معظم حياته في مدينة قونية التركية. وهو ناظم معظم الأشعار التي تُنشد في حلقة الذكر المولوية. اشتهرت الطريقة المولوية بما يعرف بالرقص الدائرى لمدة ساعات طويلة، يدور الراقصون حول مركز الدائرة التي يقف فيها الشيخ، ويندمجون في مشاعر روحية سامية ترقى بنفوسهم إلى مرتبة الصفاء الروحى، ويستغرقون في وجد كامل يبعدهم عن العالم المادى.و يصحب رقصة الدوران عزف على آلات موسيقية بسيطة مثل الناي والدف والقانون. والرقص والموسيقي تحرك النشوة الدينية في نفوسهم، وتعمل على إذكاء نار الحب الإلهي. ولاتزال الطريقة المولوية مستمرة حتى يومنا هذا في مركزها الرئيسى في قونية. ويوجد لها مراكز أخرى في إستانبول وغاليبولى وحلب، حيث تُستخدم مراسم المولوية كجزء من الفولكلور التركى. والمريد المولوي يسمى "درويش" والتي تعني الفقير. وكان مكان تجمع المولويون يسمى التكية المولوية أو تكية الدراويش. انظر حسين مجيب المصري، من أدب الفرس والترك، الدار الثقافية للنشر، الطبعة الأولى، القاهرة 1999، ص 111

[71]- كان محرماً على غير المسلم حتى عهد التنظيمات، أن يطأ جامع أبي أيوب الأنصاري، ولذلك تم إقامة سرادق كبير يسمى"أوطاغي همايون" داخل أسوار أدرنة قابي، يجلس فيه السفراء الأجانب الذين يحضرون لتهنئة السلطان بتقليد السيف. وبعد أن يتلقى السلطان مباركة السفراء، يذهب إلى مركز قشلاق الإنكشارية في قراكوي. وهناك يشرب العصير، ثم يأمر بملأ كوب العصير الفارغ بالذهب. ويعطية لحامله الذي يأخذه وينسحب من أمام السلطان خطوة خطوة إلى الخلف، ويرتفع الدعاء للسلطان بالنصر على الأعداء، ويردد الجميع قولهم إن شاء الله. وهنا تنتهي مراسم تقليد السيف. وظل السلاطين العثمانيين يقبلون مباركة السفراء الأجانب في أدرنة قابي حتى إلغاء الإنكشارية. وكان الذي يقوم بتقليد السلطان السيف، رئيس الطريقة المولوية. انظر İsmail hakkı okday, "Yanya'dan ankara'ya", a.g.e. s.351-354

شخصية وحيد الدين بعد توليه العرش

بدأ السلطان محمد وحيد الدين سلطنته بإرادة سلطانية جديدة تكشف عن شخصيته. فقام بتعديل مسودة "الخط الهمايوني" عندما عُرضت عليه، وطلب إلحاق بعض النقاط بها، مثل: ضرورة الاهتمام بالمحافظة على المعايير الإسلامية الحقيقية والحيثية العثمانية. والعمل على إقرار العدل والانضباط والأمن. وضرورة اتخاذ التدابير اللازمة للتخفيف عن الأهالي الذين تضرروا من غلاء الأسعار. وعدم طرد الموظف من وظيفته لغير أسباب قانونية. وضرورة اختيار الموظفين من ذوي الشرف والاستقامة[72].

واتخذ إجراءات تدعم المكانة المعنوية للسلطان، وتعيد لها هيبتها. فقام بتغيير موضع توقيع الفرمانات، حيث كان يضع توقيعه أعلى الفرمان، بعد أن جرت العادة أن يوقع الصدر الأعظم والوزير المسئول أسفل الفرمان، ويصدق السلطان أسفل توقيعهما.

واتجه إلى تخفيف المعاناة عن شعبه الذي أرهقته سنوات الحرب، وعانى من ظلم حكومة الاتحاد والترقي[73].

موقف السلطان وحيد الدين من رجال الاتحاد والترقي

كان السلطان وحيد الدين يكره الاتحاديين، وخاصة طلعت باشا وأنور باشا، فكان يقول إن أعمال هذين الرجلين لن تؤدي سوى إلى القضاء على الدولة. حتى كان أحد عوامل التقارب بينه وبين مصطفى كمال، هو تصوره أنه يكره الاتحاديين مثله. ولما كان السلطان يدرك دور الاتحاديين في القضاء على الدولة العثمانية، فقد وجه ضربة لهم فور توليه العرش، وقام بإقالة توفيق بك الاتحادي المشرف على موظفي القصر من منصبه. فقد كان يعتبره عميلاً وممثلاً لجماعة الاتحاد والترقي[74].

وبرغم سطوة الاتحاديين فإن السلطان وحيد الدين عندما تولى العرش، نزع عن أنور باشا صفة وكيل القائد الأعلى، وأكتفى بأن يكون وزيراً للحربية[75]. فقد كان يهدف إلى

---

[72]- Ali Fuad Türkgeldi,"görüb işittiklerim", Türk Tarih kurumu Basımevi, Ankara 1984, s. 141.142

[73]- برغم سوء حالة الدولة عند اعتلاء السلطان وحيد الدين العرش، لم يتخل السلطان عن شجاعته ومبادئه وأسلوبه المهذب. إذ قرر بأن من يريد مقابلته عليه أن يستأذن أولاً، وذلك ماعدا الصدر الأعظم وأنور باشا. وكان هذا عكس المعمول به في عهد السلطان محمد رشاد، فقد كان الوكلاء مهما كانت رتبتهم، ومهما كانت قضاياهم، يأتون إلى القصر بدون استئذان ويقابلوه. وطلب السلطان وحيد الدين من النواب عند تشكيل أول حكومة في عهده، الإدلاء بالقسم قائلاً لهم: "مثلما أقسم أنني سأحترم أحكام الشرع الشريف، والقانون الأساسي، وسأصدق الوطن والأمة، فإنني أطلب منكم أن تدلوا أنتم أيضاً بالقسم". وكان السلطان وحيد الدين رؤوفاً بشعبه. فعندما قام فريد باشا بعد اعتلائه الوزارة، باتخاذ تدابير تؤدي إلى رفع الأسعار، مثل فرض رسم البيع على الواردات الأساسية مثل الأرز والسكر والغاز والقهوة، رفض السلطان هذا الرسم الثقيل، وحصره على بعض البضائع المستوردة، مما خفف من وطأته. انظر Necip Fazıl kısakürek, "Sultan Vahiduddin", a.g.e.s.117-162

[74] - Necip Fazıl kısakürek, "Sultan Vahiduddin", a.g.e. s.129

[75] - وصف السلطان وحيد الدين هذا الإجراء بقوله: "هذا أول شق أحدثه داخل الاتحاد والترقي." انظر İsmail hakkı okday, " Yanya'dan ankara'ya", a.g.e. s.346

القضاء على سلطة جمعية الاتحاد والترقي التي كانت سبب الكوارث التي شهدتها الدولة. وكان يريد أن يوضح للاتحاديين أنه حاكم صاحب سطوة وكلمة في إدارة سلطنته، وليس سلطان سلبي والعوبة في أيديهم. والواقع أن الاتحاديين كانوا مطلعين على ميل السلطان هذا، في ظل الوضع المفجع للدولة، وسقوط دول الوفاق الواحدة تلو الأخرى، مما لم يدع مجالاً للشك في الهزيمة القادمة برغم مزاعم النصر النهائي[76] .

حالة استانبول بعد تولي وحيد الدين العرش

"بعد 20 يوماً من تولي السلطان محمد وحيد الدين العرش، تعرضت مدينة استانبول لأول هجوم جوي. في البداية قام سرب من طائرات الحلفاء- مكون من ست طائرات استطلاع- بالتحليق فوق المدينة في23 يولية 1918. وبعد أربعة أيام شنت طائرتان هجوماً جوياً على المدينة ليلاً، والقت عدة قنابل لم تصب أحداً. وفي 21 اغسطس 1918 قام سربان آخران بإلقاء القنابل على مبنى وزارة الحربية- الذي صار الآن جامعة استانبول- فأصابت سوقاً مسقوفاً بجانبها، وهدمت بعض المحال، وأصابت عشرة أفراد بجراح. فقد كان الإنجليز- برغم هزيمة جبهات العراق وسوريا وفلسطين- تغضبهم مقاومة الترك، لذلك كانوا يريدون إنهاء الحرب - مع تحقيق النصر- بإحراز هدف أخيروهو ضرب المدينة الرئيسية للدولة العثمانية. فقامت قوات الحلفاء بشن أربع هجمات جوية على أطراف المدينة، لم تلق فيها القنابل فقط، بل ألقت ايضا المنشورات، وأثناء هذا الهجوم سقطت إحدى طائرات الحلفاء. وتركت هذه الهجمات الجوية التي تزايدت بمرور الأيام أثاراً سيئة على الشعب، وعلى الرأي العام. فاضطرت بعض القيادات العسكرية إلى اتخاذ بعض التدابيرلمواجهة هذه الهجمات. ومن الدراسات التي تمت، ومن الطيار الذي تم أسره بعد سقوط طائرته، تم اكتشاف أن طائرات الحلفاء تطير من قواعد في جزيرتي ليمني[77] و تاشوز. فقامت الطائرات الألمانية والعثمانية في تاريخ 24 و 28 سبتمبر 1918 بالهجوم على الجزيرتين، وقصف قواعد الطيران هناك. لكن الإنجليز ردوا على هذا الهجوم، بهجوم جوي أشد من هجوم 27 أغسطس. فقام سرب مكون من سبع طائرات بقصف استانبول قبل الظهر في 18 اكتوبر، وسرب آخر مكون من سبع طائرات قام بقصفها بعد الظهر، وقُتل خلال هذين الهجومين 50 شخص، وجُرح مائة آخرون. وألقت طائرات الحلفاء في خلال هذه الهجمات منشورات كثيرة تعلن فيها، أن بلغاريا طلبت الصلح بسبب انقسام جبهات مقدونيا، وعدم قدرتهاعلي المقاومة. وتأثر شعب استانبول بالمنشورات التي أسقطتها الطائرات في الهجوم الأخير، أكثر من تأثره بالقتل والجراح، وهو الذي تحمل الفقر والمجاعة وفقدان الألاف من أبنائه في الجبهات المختلفة على أمل تحقيق النصر في النهاية. فقد شعرأن تلك التضحيات التي تحملها على مدى أربعة أعوام ذهبت سدى، وأنهم سيضطرون في النهاية إلى الانسحاب

[76] - İsmail hakkı okday, "Yanya'dan ankara'ya", a.g.e. s.347

[77]- ليمني، هى جزيرة تقع في بحر إيجة، بين تركيا واليونان.

من الحرب بعد الهزيمة. وكان السلطان وحيد الدين يدرك مدى حزن شعب استانبول ويشاركهم همهم"[78].

جهود السلطان وحيد الدين لإنقاذ الدولة عند توليه العرش

محاولة عقد صلح منفرد

السطان وحيد الدين هو أول من سعى إلى تحقيق الصلح، لضمان خروج الدولة العثمانية من حرب لا أمل فيها. فعندما تولى العرش رأى ضرورة التوصل إلى عقد صلح منفرد مع دول الحلفاء، من أجل إنقاذ تركيا، ولكنه لم يجد الإمكانيات التي تمكنه من هذا، بسبب تشدد الاتحاديين. وبرغم كل العقبات، استمر السلطان في سعيه لإنقاذ سلطنته ودولته من الموقف البائس، فطرق كل باب. وفي الأول من شهر اكتوبر عام 1918، أفاد السلطان، الدكتور بارودي المعتمد لدى السفارة الإنجليزية في سويسرا، سراً إنه يفكر في ثلاثة وسائل، من أجل تحقيق هذا الهدف:

1 ـ أن يجد وسيلة للاتصال بالإنجليز في سويسرا.

2 ـ ان يصل إلى الإنجليز من خلال إزمير- ميدللي، وذلك عن طريق رحمي بك، والي إزمير،(وكان السلطان يفضل هذا الطريق).

3 ـ أن يصل إلى الإنجليز عن طريق الحدود السورية.

وفى نفس اليوم ذهب وزير الإعاشة قره كمال، ووزير المعارف شكري بك، إلى برن من أجل نفس الهدف. واقترحت حكومة إنجلترا على ويلسون، رئيس الولايات المتحدة الأمريكية حينئذ، إعلان شروط الصلح والهدنة التي ستوقع مع الدولة العثمانية، والتي تقررت خلال مؤتمر وزراء الخارجية الذي انعقد في باريس. وذُكر في المذكرة التي قدمها اللورد اكتون، سفير إنجلترا في سويسرا، في مدينة برن، أن السلطان وحيد الدين سيتحرك على نحو غير مباشر، لأنه يخشى أن يُقتل على يد أنور باشا. وكانت شروطه أن يبقى هو على عرشه، وأن تعترف إنجلترا باستقلال الدولة العثمانية. وبعد ذلك أعلن فؤاد سليم بك، سفير الدولة العثمانية في برن، في المذكرة بتاريخ 24 اكتوبر 1918، أن عزت باشا ـ الذي تولى الوزارة بعد استقالة وزارة طلعت باشا- قد منح حكومته صلاحية مناقشة شروط الهدنة، وأن اللورد اكتون سيقوم بعمل المناقشة في مكان آخر بناءً على تعليمات من وزارة خارجية إنجلترا[79] .

---

[78] -İsmail hakkı okday, "Yanya'dan ankara'ya", a.g.e. s.354-356

[79] - İsmail hakkı okday, " Yanya'dan ankara'ya", a.g.e. s.347,349,350 ve Kadir Mısıroğlu, "bir mazlum Padişah, Sultan vahideddin", a.g.e. s.140

تشكيل هيئة الأركان الخاصة

كان السلطان وحيد الدين قد أخذ من أنور باشا صفة القائد الأعلى عندما تولى العرش، وشكل في قصره هيئة أركان خاصة، مشكلة من ياوره إسماعيل حقي باعتباره رئيس أركان المعية السنية، وناشد بك، نقيب من سلاح الفرسان[80]. وخصص حجرة خاصة لهذه الهيئة، وكانت هناك خرائط عسكرية كبيرة، وُضعت على منضدة كبيرة في وسط الحجرة. وكان إسماعيل حقي ومعه ناشد بك يقومان بكتابة التقارير العسكرية حول دقائق الوضع، بناءً على المعلومات العسكرية الواردة من وزارة الحربية. وهذا مكن السلطان من الاطلاع بصفة مستمرة على الموقف عن قرب، وكانت الهيئة تُطلع السلطان يوما بيوم على التحركات العسكرية في جبهات فلسطين والعراق والقوقاز واليمن وتراقيا. وعلى موقف الدولة العثمانية بالنسبة لفرنسا وانجلترا وروسيا، التي كانت قد انسحبت من الحرب منذ فترة طويلة، بعد عقد معاهدة الصلح (بريست ليتوفيسك)، ووصول الإنجليز حتى القوقاز في الجبهة الروسية. وعندما أدرك السلطان أن الوضع العسكري صار سيئا للغاية، فكر في ضرورة عقد هدنة مع دول الحلفاء. وبعد هجوم اليونانيين على إزمير[81]، واندلاع الثورة الشعبية، أخذ السلطان يترقب الاشتباك الدامي في قلب الأناضول، على هذه الخرائط العسكرية[82].

وزارة الإنقاذ

كلف السلطان توفيق باشا، بتشكيل وزارة جديدة بعد استقالة طلعت باشا في 8 اكتوبر 1918. ولكن توفيق باشا لم يستطع تشكيل الحكومة، لأنه كان لايريد أن ينضم أحد من الاتحاديين إلى حكومة الإنقاذ.

وكان مصطفى كمال قد أرسل في 7 اكتوبر 1918، من (قصبه باغچة) والمعروفة اليوم بولاية (أضنة)، برقية إلى القصر يوصي فيها السلطان - بعد أن يوضح الوضع

---

[80]- كان ناشد بك رفيق سلاح لمصطفى كمال في أنافارطة. قام وحيد الدين بإرساله إلى الأناضول- بعد تعيينه لمصطفى كمال مفتشاًعلى الجيش- ليكون حامل البريد للسلطان. فقد كان حلقة الاتصال بين السلطان وبين الأناضول، من خلال جولاته المكوكية بين استانبول والأناضول. وقدم مساعدات كبيرة للثورة الشعبية. انظر İsmail hakkı okday, "Yanya'dan ankara'ya", a.g.e. s.348

[81] - إزمير هى مدينة تقع في غرب تركيا. كانت مستعمرة إغريقية أعاد بناءها انتيجونس الأول في القرن 4 ق.م. صارت أكبر وأغنى مدن أسيا الصغرى تحت حكم الرومانيين والبيزنطيين. وأصبحت مركزاً مسيحياً، وإحدى مدن الكنائس السبع بأسيا. خربها تيمورلنك عام 1402، وأسقطها الأتراك عام 1424. وفي عام 1919 احتلتها القوات اليونانية، وجعلتها تحت الإدارة اليونانية بمقتضى معاهدة سيفر عام 1920. ثم ألغت معاهدة لوزان 1923 هذا الإجراء عقب انتصار الأتراك على اليونانيين، وطردهم من أسيا الصغرى في حربي 1920،1922. وجرى تبادل بين سكان إزمير اليونانيين. انظر الموسوعة العربية الميسرة، إشراف محمد شفيق غربال، دار القلم ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر 1959، ص 129

[82] - İsmail hakkı okday, "Yanya'dan ankara'ya", a.g.e. s.347,348

- الأناضول هى الجزء الأسيوي من تركيا، وهى عبارة عن شبه جزيرة جبلية بين البحر الأسود في الشمال، وبحر إيجة في الغرب، والبحر المتوسط في الجنوب. ويبلغ 97 % من مساحة تركيا. انظرالموسوعة العربية الميسرة، إشراف محمد شفيق غربال، مرجع سبق ذكره، ص 231

السيء في الجبهة، حيث كان في ذلك الوقت في جبهة فلسطين، وكان قد انسحب إلى الشمال بعد سقوط هذه الجبهة[83] - بأن يؤسس حكومة جديدة برئاسة أحمد عزت باشا. وبالفعل كلف السلطان عزت باشا، وزير الحربية السابق وياوره الأكرم، بتشكيل الحكومة الجديدة. ومنحه السلطان رتبة مشير، وكان يشغل أيضا منصب وكيل وزارة الحربية. وأصبح عزت باشا، صدراً أعظم، وشكل حكومة في 27 اكتوبر 1918 تضم الأسماء نفسها التي ذكرها مصطفى كمال في برقيته، باستثناء واحد، هو نفسه أي مصطفى كمال الذي تم استبعاده من وزارة الحربية التي كان قد طلبها. وذكر أحمد عزت باشا أن سبب استبعاده هو الموقف الحرج الذي كان في الجبهة، وواساه بإنه بعد الصلح سينظر في هذا الأمر. ومن الأسماء التي ذكرها مصطفى كمال لضمها للحكومة الجديدة، فتحي بك، وزير الداخلية من المبعوثان، وأصبح اسمه فيما بعد فتحي أوقيار[84]. ورؤوف بك[85]، (رؤوف أورباي) وزير البحرية الذي صارت وظيفته رئيس أركان وزارة البحرية. وتحسين وعزمي وجنبلاط وخيري أفندي شيخ الإسلام. ورشيد عاكف باشا، رئيس مجلس شورى الدولة من الأعيان، وجاويد بك، وزير المالية وعبد الرحمن شرف أفندي، وزير الأوقاف وسعيد بك، وزير المعارف وضياء باشا، وزير المرافق والدكتور جلال مختار بك، وزير الاعاشة.

وهكذا تأسست حكومة أحمد عزت باشا التي أوصى بها مصطفى كمال في برقيته المشهورة بـ (باغچة تلجرافي) التي أرسلها إلى القصر في 14 اكتوبر1918، وهى الحكومة التى وقعّت الهدنة كأول مهمة لها، تلك الهدنة التي نتج عنها احتلال الدولة[86].

---

[83]- أخفق أتاتورك في مهمة الدفاع عن الجبهة السورية خلال الحرب العالمية الأولى، تلك المهمة التي كلفه بها السلطان محمد وحيد الدين. وقام بالانسحاب منها بدون خوض أي معركة ضد الحلفاء. وكان انسحابه هذا سبباً في ضياع بلاد الشام، ووقوع جزء كبير من الجيش العثماني في الأسر. لمزيد من التفاصيل، انظر ماجدة مخلوف، بيان السلطان محمد وحيد الدين، آخر السلاطين العثمانيين، مجلة المنار الجديد، ابريل 2005، ص 118 ،128

[84]- فتحي أوقيار هو صديق مصطفى كمال في المدرسة. عينه بعد ذلك سفيراً لسنوات طويلة، ثم رئيساً للوزراء في عهد رئاسته للجمهورية، ثم زعيماً شكلياً للمعارضة حيث كان رئيساً لحزب المعارضة في عهد أتاتورك. والمعارضة نفسها كانت صورية. وكان أنور باشا يبغضه لصداقته لمصطفى كمال. انظر الرجل الصنم، تأليف ضابط تركي سابق، ترجمة عبدالله عبد الرحمن،مؤسسة الرسالة بيروت،الطبعة الرابعة 1982م (مترجم عن التركية)، ص 58

[85]- كان رؤوف بك ضابطاً في البحرية، وعضواً بارزاً في الاتحاد والترقي، ورئيساً للوفد الذي وقّع هدنة مودوروس. وهو أحد الضباط المقربين من أتاتورك منذ بداية الحركة الكمالية، وأحد الشخصيات البارزة في هذه الحركة. وكان وزيراً للبحرية في ذلك الوقت، لكنه كان ضد أتاتورك في موقفه من السلطنة العثمانية والخلافة. انظر ماجدة مخلوف، الخلافة في خطاب أتاتورك، مرجع سبق ذكره، ص 54

[86] - Ali Fuad Türkgeldi,"görüb işittiklerim", a.g.e. s.157 ve Mahmud Kemal İbnül-Emin, "Osmanlı Devrinde Son Sadrazamlar", cilt 2, Maarif Matbaası, Ak Kitabevi, İstanbul 1964 s. 1918 ve Ahmet İzzet Paşa, "Feryadım", c.2 Nehir Yayınları, İstanbul 1994, s. 278

هدنة موندروس

تم توقيع هذه الهدنة في 30 أكتوبر 1918، على ظهر المدرعة الإنجليزية (سوبيرب)[87] في ميناء موندروس بجزيرة ليمني، من جانب الوفد التركي الذي يمثل حكومة عزت باشا، والذي تشكل من سعد الله بك، قائمقام أركان حرب ورشاد حكمت، مستشار الخارجية، وبرئاسة رؤوف بك (أورباي)، وزير البحرية، مع وفد الإنجليز برئاسة كالثورب، نائب الأميرال الإنجليزي. وقد أكد السلطان على أعضاء الوفد بأنه توجد مادتين ينبغي التركيز عليهما، وهما ضمان المحافظة على حقوق الخلافة والسلطنة والأسرة العثمانية، وأن يكون استقلال بعض الولايات داخلياً وليس سياسياً، حتى لايصير استقلالاً هشاً، يكون في قبوله إهانة للعالم الإسلامي. وبرغم تحذير السلطان وقّع رؤوف بك على الهدنة استناداً على الضمانات الشخصية التي أخذها من كالثورب. وتمت هذه الهدنة بوساطة الجنرال الإنجليزي "تاونزهند" الذي كان قد أُسر من جبهة العراق قبل ذلك، وكان يقيم في ذلك الوقت في (بيوك أدا) وكان يأمل في فك أسره إذا تم تنفيذ هذا الأمر[88].

وكانت هدنة ثقيلة الشروط تمثل استسلام الدولة التركية حيث أدت إلى:

1- استيلاء الحلفاء على جميع استحكامات البوغاز.
2- تسريح الجيش.
3- تسليم الأسطول لدول الحلفاء.
4- السماح للحلفاء باحتلال ما يتراءى لهم من الأراضي، إذا كانت تمثل تهديداً لأمن الدول المنتصرة (فقد كانت المادة السابعة من هذه الهدنة تقول: "من حق الحلفاء احتلال مايتراءى لهم من الأماكن التي تكفل أمنهم" وهذه المادة كانت سبب المصائب التي جاءت بعد ذلك).
5- تم وضع جميع المراسلات تحت سيطرة دول الحلفاء.
6- قامت فرنسا باحتلال أضنة في الجنوب، واحتلت إيطاليا قونيه ولواء أنطاليا في جنوب غرب تركيا، واحتل الإنجليز مرعش وأورفة وعينتاب في الجنوب، وسامسون[89] ومرزيفون في الشمال[90].

وكان مصطفى كمال في تلك الأثناء قائداً للجيش السابع، ثم أصبح قائداً لجيوش الصاعقة التي كانت في جبهة فلسطين ضد الجيش الإنجليزي، وذلك بناءً على تعيين

---

[87] - كتاب الوطنية العثمانية، تأليف مدام بيرت جورج جوليس، ترجمة أحمد رفعت، دار الطباعة الفنية 1922 (مترجم عن الفرنسية)، ص 13

[88]- Tarık Mümtaz Göztepe, "Osmanlıların Son Padişahı Vahiddeddin, Mütareke Gayyasında", Sebil Yayınları, İstanbul 1969 s. 58 ve İsmail hakkı okday, "Yanya'dan ankara'ya", a.g.e. s. 365

[89] - سامسون، ميناء على البحر الإسود

[90] - Reşad Ekrem Koçu, "Osmanlı Padişahları", a.g.e, s.438

انظر ايضا محمد عزة دروزة، تركيا الحديثة، القاهرة 1946، ص 11 – 15 و عبد العزيز محمد الشناوي، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، الجزء الأول، مكتبة الأنجلو المصرية 1980، ص 243

السلطان وحيد الدين له. وكان يتولى قيادة تلك الجيوش في البداية المارشال (ليمان فون ساندرز)، قائد القوات الألمانية ، ثم ترك قيادتها إلى مصطفى كمال. وقد هُزمت جيوش الصاعقة، وانسحبت أمام القوات الإنجليزية التي نجحت في احتلال فلسطين ولبنان وسوريا. ويصف السلطان وحيد الدين هذه الهدنة بأنها هدنة مشئومة، وأنها مصدر كل المصائب التي حدثت بعد ذلك. ولم يقابل الوفد الذي وقع المعاهدة بل وطلب ضرورة استقالة الحكومة التي وقعتها[91].

حالة الدولة العثمانية بعد الهدنة

كانت الوزارة التي قامت بالتوقيع على الهدنة صورة من حكومة الاتحاد والترقي التي زج رجالها بالدولة إلى الحرب، وهم المسئولين عن ذلك حيث الكثير من وزرائها من نفس الحزب. ولذلك عندما عُقدت الهدنة، استطاع طلعت باشا وأنور باشا وجمال باشا الفرار بسهولة من الدولة إلى الخارج هرباً من المحاكمة[92]. وعاد مصطفى كمال في تلك الأثناء إلى العاصمة بناءً على استدعاء عزت باشا، الذي اعتزم أن يستقيل من رئاسة الوزارة لأن السلطان كان ينوي تشكيل حكومة جديدة برئاسة توفيق باشا. وبالفعل تألفت حكومة أخرى برئاسة توفيق باشا في 11 نوفمبر 1918[93].

وسيطر الحلفاء على كل شيء، فاحتل الإنجليز الموصل وعنتاب وحواليها في 3 نوفمبر، وأحتلوا الأسكندرونة في 9 نوفمبر، وفي 10 نوفمبر احتلوا موقعهم المستحكم في چناق قلعة، وسيطروا على البسفور. وفي 13 نوفمبر 1918- أي بعد توقيع الهدنة بـ 15 يوم، وقبل عودة مصطفى كمال من فلسطين بيوم- رست 61 قطعة أسطول تابعة لدول الحلفاء تضم السفن الإنجليزية والفرنسية والإيطالية واليونانية، في ميناء استانبول أمام قصر دولماباغچة. وبذلك وقعت استانبول تحت الاحتلال المشترك للحلفاء بقيادة الأميرال (كالثورب)، بصفته مندوباً سامياً تعاونه لجنة ثلاثية تضم مندوباً عن كل من فرنسا وبريطانيا وإيطاليا. وفي وقت قصير دخل استانبول 35 ألف جندي إنجليزي، و40 ألف فرنسي، و4 ألاف إيطالي، وألفين يوناني. وهكذا احتلت الجيوش الإنجليزية العاصمة، وكل قلاع الدردنيل، والمواضع الحربية الهامة في أنحاء تركيا. بينما احتلت الجيوش الفرنسية استانبول، وملأ جنودها شوارع (جالاطة)، كما استولت على أطراف أضنة. واحتلت الجيوش الإيطالية (بيرا)، واستولت على أنطاليا، وأطراف قونية.

---

[91] - Ali Fuad Türkgeldi, "görüb işittiklerim", a.g.e. s. 172 ve Mahmud Kemal İbnül-Emin "Osmanlı Devrinde Son Sadrazamlar", a.g.e. s. 1988

- عندما قرأ وحيد الدين ادعاء أن استقالة حكومة عزت باشا- التي اعتبرها السلطان شكل أخر من حكومة الاتحاد والترقي- تمت بناءً على ضغط السلطان، وهذا مخالف للقانون الأساسي، قال مكذباً هذا الادعاء " تولدت نغمة أخرى من نفس الناي " انظر Ali Fuad Türkgeldi, "görüb işittiklerim", a.g.e. s. 158

[92] - Tahsin Ünal, "Türk Siyasi Tarihi", Kutluğ Yayınevi, İstanbul 1974, s. 454

[93] - هـ. س. ارمسترونج ، الذئب الأغبر، مصطفى كمال، ترجمة حلمي مراد، دار الهلال ، 1976 (مترجم عن الإنجليزية) ص 78

وأشرف ضباط الحلفاء على شئون الشرطة، والحرس الوطني، وعلى الميناء وخطوط السكك الحديدية. كما أشرفوا على تجريد القلاع من أسلحتها، وتسريح الجيش[94].

وانهارت الدولة العثمانية، وانسلخت عنها مصر وسوريا وفلسطين وبلاد العرب. وباتت تركيا خاضعة لسيطرة الحلفاء وقبضتهم الحديدية. كما انهارت الأداة الحكومية انهياراً تاماً. وعانى الأتراك من الهزيمة، وأصبح مصيرهم بيد الحلفاء المنتصرين[95].

واستقرت أمام القصر السفن اليونانية، وكان يزور هذه السفن يومياُ الآلاف من الروم الذين يعيشون في استانبول. وكانت أحاديثهم اللاتينية، وهتافهم بحياة قادة هذه السفن تصل إلى آذان السلطان وحيد الدين، مما اضطره إلى الانتقال إلى قصر يلديز، وظل هناك حتى غادر الوطن.

وطالب الإنجليز بضرورة حل البرلمان، لأنه كان السبب - في رأيهم- في الدفع بتركيا إلى غمار الحرب العالمية. فقاموا بالضغط على السلطان حتى يحله، لكن السلطان لم يكن يريد ذلك، خشية إجراء إنتخابات جديدة على هوى الإنجليز. وخشية أن يكون هناك فراغ سياسي، مما يتيح الفرصة لتدخل الإنجليز في الانتخابات[96].

ثم اضطر توفيق باشا إلى الاستقالة، وجاء فريد باشا إلى الصدارة. وفي تلك الأثناء استمر احتلال الأناضول، وترددت شائعات تقول أن اليونانيين سوف يدخلون إزمير. وأراد اللنبي - الجنرال الإنجليزي الذي جاء إلى استانبول في ظل تلك الأحداث- تعيين مصطفى كمال في قيادة الجيش السادس الموجود في المقاومة حينئذ، ولكن مصطفى كمال لم يقبل عرض الجنرال اللنبي، لأن استانبول أصبحت مركز أنشطة سياسية[97].

جهود السلطان وحيد الدين لإنقاذ وطنه بعد الحرب

بعد هزيمة تركيا في الحرب العالمية الأولى، وفرار رجال الاتحاد والترقي الذين زجوا بتركيا في هذه الحرب، حيث كانت مقدرات البلاد في أيديهم، حاول السلطان وحيد الدين أن يمسك بزمام الأمور. وبعد هدنة موندروس، انتهج السلطان وحيد الدين سياسة تستهدف إنقاذ بلاده، وشعبه، وشرف أسرته العلية. فاتخذ عدة إجراءات تستهدف إصلاح الوضع الداخلي، وتحسين الوضع المعيشي للمواطنين. وبذل السلطان جهوداً سياسية من أجل كسب الوقت لتهدئة غضب الشعب، ومهادنة دول الحلفاء. فكر السلطان في ضرورة قيام ثورة شعبية في الأناضول تعمل على تخليص الوطن من الاحتلال الأجنبي، لأنه كان يرى أن اندلاع مقاومة رسمية علنية يقودها الجيش، سيؤدي إلى القضاء على الدولة العثمانية على يد قوات الحلفاء. كما كان يشك في إخلاص الجيش، لأن معظم قادته كانوا

---

[94] - Tevfik Bıyıklıoğlu, "Atatürk Anadolu'da" , a.g.e. s. 20

[95]- أرمسترونج، مرجع سبق ذكره، ص 99 ، 100

[96] - Kadir Mısıroğlu, "bir mazlum Padişah, Sultan vahideddin", a.g.e. s.155,204

[97] - Falih Rıfkı Atay, "19 Mayıs", Ulus Basımevi, Ankara 1944, s. 14

من الاتحاد والترقي. ولذلك أرسل السلطان وحيد الدين، مصطفى كمال باشا إلى الأناضول للاضطلاع بهذه المهمة[98].

احتلال إزمير وإرسال مصطفى كمال إلى الأناضول

وقع الهجوم اليوناني في 14 مايو 1919. ومن الملاحظ أنه أثناء الحرب العالمية الأولى التي استمرت من 1914 - 1918، لم يلتق الجيش العثماني في مواجهة الجيش اليوناني ولا مرة واحدة. وبرغم هذا دخل هذا الجيش من خلال قوات الحلفاء المنتصرة إلى استانبول، حيث رست السفن الحربية اليونانية في مياه البوغاز. ثم قام الجيش اليوناني بتحريض من لويد جورج، رئيس وزراء إنجلترا، بالهجوم على إزمير. في تلك الأثناء كان شعب استانبول يعاني الفقر والجوع وليس قادراً على القتال أوالمقاومة، فلم يكن هناك سلاح أو تشكيلات عسكرية منظمة ولكن في الأناضول بدأت أعمال المقاومة الحقيقية.

واحتلال إزمير في 15 مايو 1919، حدث بقرار مشترك من دول الحلفاء، حيث احتل جيش اليونان ميناء إزمير بقرار من لجنة الحلفاء العليا المقيمة في باريس، بموجب المادة السابعة من هدنة موندروس، التي تنص على أن من حق الحلفاء احتلال مايتراءى لهم من الأماكن التي تكفل أمنهم. وحذرت اللجنة، السلطان من مقاومة اليونانيين، معتبرين ذلك مقاومة لجميع الحلفاء، أي نقض الهدنة. ولكن احتلال إزمير أصبح مسألة تخص اليونان فقط، بعد حدوث الخلافات بين الحلفاء. وسقط فريد باشا مغشياً عليه، عندما علم باحتلال اليونان لإزمير، واستقال من الصدارة. وفي 19 مايو 1919 تم تشكيل حكومة الداماد[99] فريد باشا الثانية، وإرسال مصطفى كمال إلى الأناضول عن طريق سامسون[100]. وانضم الشعب التركي الذي نهض لمقاومة اليونانيين الذين هجموا على الوطن، إلى مصطفي كمال باشا من أجل إنقاذ الوطن والحفاظ على استقلاله. وفي 23 مايو 1919 عُقد (الاجتماع العام)، أو مسيرة السلطان احمد، التي جاءت تعبيراً عن انفعال وغضب الأتراك من احتلال إزمير. وفي 27 يونيو 1919 جاء مصطفى كمال إلى سيواس. ثم وصل إلى أرضروم في 3 يوليو 1919، وتم افتتاح مؤتمر أرضروم في 23 يوليو1919، ودعا فيه إلى وحدة البلاد ضمن الحدود القومية. ثم عقد مؤتمر سيواس في سبتمبر 1919، وتشكلت فيه الهيئة التمثيلية، ثم انتقل مقر هذه الهيئة إلى أنقرة. وفي23 ابريل 1920 تم افتتاح مجلس الأمة التركي الكبير في أنقرة. وفي 26 ابريل 1920 أرسل مجلس الأمة التركي الكبير برقية تأييد للسلطان[101].

---

[98] -Murat Bardakçı, "Şahbaba", a.g.e s. 429-444

[99] - داماد: كلمة فارسية معناها صهر السلطان

[100] - مصطفى صبري، موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، الجزء الأول، الطبعة الأولى 1427 هـ - 2006 م، الناشر دار الأفاق العربية، ص 469

[101]- Reşad Ekrem Koçu, "Osmanlı Padişahları", a.g.e. s.439

مجلس شورى السلطنة

اجتمع مجلس الشورى مرتين باسم مجلس شورى السلطنة في استانبول. وكلا الاجتماعين تما في الوقت الذي لم يكن فيه مجلس المبعوثان موجود. وقد اجتمعا من أجل تبادل الرأي تجاه الأحداث السياسية التي وقعت، ولم يصدر عنهما أي قرار نظراً لعدم وجود المجلس.

مجلس شورى السلطنة الأول

بدأ الاجتماع الأول بمناقشة مفتوحة وقصيرة في 26 مايو 1919، في قصر يلديز، في الدور العلوي في صالون كبير، وحضره مجموعة مختارة من المدنيين والعسكريين، والسلطان وحيد الدين وولي عهده عبد المجيد أفندي والصدر الأعظم. كان السلطان في هذا الاجتماع يبدو مهموماً وحزيناً حتى أنه ترك المجلس، وبجانبه عبد المجيد أفندي، ونزل إلى جناحه الخاص في الدور الأوسط. ولم يكن لهذا الاجتماع أية علاقة بمشروع معاهدة سيفر، لأنها لم تكن قد تمت بعد. وكان قد سبق هذا الاجتماع بثلاثة أيام، ترتيب مظاهرة كبيرة في ميدان السلطان أحمد، حيث ثار الشعب لمحاولة اليونان احتلال أطراف إزمير. ولذلك رتب وحيد الدين هذا الاجتماع للتباحث مع المثقفين من الأمة في هذه الأمور، والمشاورة معهم فيما يمكن عمله. ولذلك كان يبدو مهموماً وحزيناً[102].

في هذا الاجتماع الذي دعى إليه السلطان بسبب احتلال إزمير، أشار المشاركون فيه إلى مدى عجز حكومة فريد باشا، وطُرحت أفكار حول ضرورة الدفاع عن الأتراك كشعب، داخل أسس مثل مؤتمر الصلح المجتمع في باريس في ذلك الوقت. وتقرر في هذا الاجتماع أنه لاشيء يمكن أن يعوض الأتراك عن الأراضي التي غالبية سكانها من الأتراك، وذلك في ضوء (مباديء ويلسون) المعلنة.

وأرسل مصطفى كمال باشا الذي كان يتابع هذا الاجتماع من الأناضول، في تاريخ 2 يونيو 1919، رسالة بالشفرة إلى كاظم قره بكير قائد الفرقة الـ15 في أرضروم، معلقاً على اتهام المجتمعين لفريد باشا بالعجز قائلاً: "يبدو أن شورى السلطنة فقدت الثقة في حكومة فريد باشا، فالروح الثورية استيقظت في استانبول من جديد"[103].

مجلس شورى السلطنة الثاني

في 16 مارس 1920 هجم الإنجليز على مجلس المبعوثان، وقاموا بحله. فدعى السلطان إلى عقد اجتماع لمجلس شورى السلطنة في قصر يلديز، في نفس الصالون، للتشاور في أمر حل المجلس، وفي مشروع معاهدة سيفر.

---

[102]- يقول على فؤاد توركجالدي: "رأيت السلطان وحيد الدين يبكي. وقال لي، إنني أبكي حزناً مثل النساء." انظر Ali Fuad Türkgeldi,"görüb işittiklerim", a.g.e. s. 216

[103]- Mustafa Budak, "İdealden Gerçeğe", Küre Yayınları, İstanbul 2002 s. 74

في هذا الوقت كان الإنجليز يضغطون من أجل قبول معاهدة سيفر، والسلطان وحيد الدين يماطلهم من أجل كسب الوقت[104].

وكان مجلس شورى السلطنة الثاني، أحد جوانب هذه المماطلة. وكان حاضراً في هذا المجلس صهر السلطان، إسماعيل حقي بك (اوكداي). في هذا الاجتماع، جاءت صفوة استانبول من وزراء وأعيان وباشاوات ووزراء قدامى وأشراف. ووقف فريد باشا ليلقي كلمة الافتتاح، وبدأ يتحدث عن سوء الوضع السياسي، وروى أنه قد تم تقديم معاهدة صلح سيفر التي وضعتها دول الحلفاء المنتصرة، إلى هيئتنا التمثيلية بدون تعديل، وطلبوا منها إما الموافقة على مسودة هذه المعاهدة أو رفضها. وبناءً على ذلك فإن المطلوب من هؤلاء المجتمعين هو الموافقة أو عدم الموافقة. وكان أي مادة في هذه المعاهدة غير قابلة للتعديل، لأن الدول المنتصرة أجمعت أرائها على هذه المعاهدة. لكن كان من الممكن الاستماع إلى الشكاوي المتعلقة بها، سواء شفاهة أو كتابة، لكن التعديل ليس موضوع بحث. وكان من بين الموجودين ولي العهد عبد المجيد أفندي، وكان شاحب الوجه من شدة تأثره. وأيضا كان هناك شيخ الإسلام السابق، مصطفى خيري أفندي، ومن العسكريين كان هناك هادي باشا، رئيس حزب حرية الإئتلاف، والعقيد متقاعد صادق بك. وقف البعض وأخذوا يعلنون صراحة عن أرائهم ضد المعاهدة، وتحدث أخرون منهم صادق بك الذي وصف المعاهدة بإنها "فرمان إعدام" للدولة الكبيرة التي استمرت 600 سنة. وهكذا كان كل ما فعله الحاضرون هو التأثر والوقوف على الأقدام وقول الخطب ثم الجلوس. وفي النهاية قال فريد باشا من يقبل المعاهدة يقف على قدميه، ثم أشار إلى السلطان بأن يغادر الاجتماع. فوقف السلطان ليخرج من الصالون، فنهض جميع الحاضرين احتراماً للسلطان وتحية له. ولم يُفهم هل كان وقوفهم هذا احتراماً للسلطان، أم موافقة على المعاهدة. وكان رضا باشا- من فريق المدفعية وعضو مجلس الأعيان- حاضراً في هذا الاجتماع، وقال صائحاً في الصدر الأعظم اعتراضاً على لعبته: "إننا قمنا احتراماً للسلطان، وليس قبولاً للمعاهدة"[105].

معاهدة سيفر

معاهدة سيڤر هى مشروع معاهدة، قام بالتوقيع عليها الداماد فريد باشا في 10أغسطس 1920، ورفض السلطان التصديق عليها.

كانت المعاهدة تنص على:

---

[104]- يقول وحيد الدين عن معاهدة سيفر: "إنني قررت المماطلة، وأعلنت للجنة خلافة هندستان التي أرسلت لي وفداً من أجل الاستفسار عن معاهدة سيفر، إنني أرجح انتظار ما ستسفر عنه الأحداث. وإذا ساءت الأمور، ولم تنجح سياسة الانتظار والمماطلة، واضطررت لتوقيع المعاهدة، فسوف أتنازل عن العرش." انظر Murat Bardakçı, "Şahbaba", a.g.e. s. 437

[105] - İsmail hakkı okday, "Yanya'dan Ankara'ya", a.g.e. s. 384 -386

حصول أرمينيا ومنطقة الحجاز على الاستقلال، وضم جزء كبير من شرق تركيا إلى أرمينيا. وأن تكون سوريا وفلسطين ولبنان دولاً مستقلة، تتولى الوصاية عليهم القوات المنتدبة من عصبة الأمم. فتم وضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، والعراق وفلسطين وشرق الأردن تحت الانتداب البريطاني. وأن تتخلى الدولة العثمانية عن سلطاتها الإقليمية في شمال أفريقيا. وتتخلى عن تراقيا الشرقية لليونان، ومنح إزمير والأقسام الداخلية التابعة لها استقلالاً ذاتياً تحت إشراف اليونان لمدة خمس سنوات. وأن تحصل اليونان على جزر بحر إيجة، ومنطقة تراقيا، بإستثناء رقعة ضيقة. ووضع منطقة أضاليا تحت الإشراف الإيطالي، ومنح حرية الملاحة في كل المياه المحيطة بالدولة العثمانية، لسفن جميع الدول. ونصت المعاهدة أيضا على تقليص حجم القوات المسلحة التركية، ومنع الدولة من إقامة أية استحكامات عسكرية. وسيطرة لجنة الحلفاء على الاقتصاد العثماني. كما نصت على ضرورة حصول كردستان على الاستقلال، حسب البندين 62 و63 من الفقرة الثالثة من المعاهدة، والسماح لولاية الموصل بالانضمام الى كردستان، استنادا الى البند 62 ونصه: "إذا تقدم الأكراد القاطنون في المنطقة التي حددتها المادة (62)، إلى عصبة الأمم - خلال سنة من التصديق على هذه المعاهدة - وأعلنوا أن غالبية سكان هذه المنطقة ينشدون الاستقلال عن تركيا، وفي حالة اعتراف عصبة الأمم أن هؤلاء السكان لهم الحق في حياة مستقلة، وتوصيتها بمنح هذا الاستقلال، فإن تركيا تتعهد بقبول هذه التوصية، وتتخلى عن كل حق لها في هذه المنطقة. وستكون الإجراءات التفصيلية لتخلي تركيا عن هذه الحقوق، موضوعا لاتفاقية منفصلة، تُعقد بين دول الحلفاء وتركيا". وهكذا لم تترك هذه المعاهدة للدولة العثمانية، إلا مساحة محدودة جدا من الأرض في أوروبا. ونتيجة لهذه المعاهدة أصبحت اليونان على بعد أميال من استانبول، وأصبح لها موطيء قدم على ساحل أسيا الصغرى، بمثابة منفذاً على البحر لتنطلق منه في حركة توسع داخلية للاستيلاء على الأناضول الغربي. وطُلب من العثمانيين أن يقدموا تنازلات كبيرة، لمن تبقى في داخل الدولة من غير المسلمين. وأُذيعت نصوص المعاهدة بأسلوب دعائي مثير للشعب التركي الذي ثار ضد الحكومة[106].

الضغوط البريطانية

تزايد ضغط الإنجليز - بوصفهم قوات احتلال- على السلطان حتى يقوم بالتصديق على شروط معاهدة سيفر التي أخذت تتبلور. وحتى يقوم بحل مجلس المبعوثان الذي كان لايريد أن يحله، لكنه اضطر نتيجة للضغط أن يحله في النهاية. وشكل السلطان وحيد الدين حكومة على رضا باشا في 2 اكتوبر 1919. وأجرى انتخابات جديدة برغم وقوع أجزاء كبيرة من الدولة تحت الاحتلال. وبدأت الانتخابات في 15 اكتوبر 1919.

[106]- محمد سهيل طقوش، العثمانيون من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة، مرجع سبق ذكره، ص 563

وبعد ثلاثة شهور تشكل مجلس المبعوثان العثماني الأخير، وفي 12 يناير 1920 بدأت فعاليات هذا المجلس. وكان في هذا المجلس رؤوف بك، المنتخب بصفته ممثلاً عن سيواس، واشترك في المساعي الرامية لوضع الميثاق الوطني. وأُنتخب في هذا المجلس ايضا مصطفى كمال، مبعوثاً عن أرضروم لكنه لم يلتحق بالمجلس[107].

وبذل السلطان مافي وسعه من أجل إزالة عدم التفاهم الذي أحدثه الإنجليز بين أنقرة واستانبول. وفي 8 فبراير 1920 تم إجراء تعديل في حكومة علي رضا باشا[108].

حاول الإنجليز الضغط على حكومة رضا باشا لإعلان أن الذين يشتركون فى ثورة الأناضول عصاه، فرفض رضا باشا، وقدمت الحكومة استقالتها. وأيضا حاولوا ذلك مع حكومة صالح باشا التي تشكلت بعد حكومة رضا باشا، ولكنه رفض أيضا. فوقعت حادثة 16 مارس 1920، ووطأ الإنجليز مجلس المبعوثان، و قاموا بتفريقه، واعتقلوا بعض ممثلي الأمة، وتم نفيهم إلى مالطا. وفي 27 مارس 1920 اتصل مصطفى كمال بـ جلال الدين عارف الذي كان في طريقه إلى أنقرة، وطلب منه إصدار بيان يفيد أن المجلس سوف يجتمع في أنقرة[109]. وقدمت الحكومة استقالتها في 2 ابريل 1920. وحُل مجلس المبعوثان العثماني الأخير، ثم تم تشكيل حكومة الدماد فريد باشا الرابعة في 4 ابريل 1920[110]. واحتلت قوات دول الحلفاء العسكرية استانبول، وسيطر الجنود البريطانيين على وزارات الحربية والبحرية والبريد والبرق. وبهذا الاحتلال انعزلت استانبول عن الأناضول عزلاً تاماً، وأدى ذلك إلى زيادة اشتعال المقاومة الشعبية في الأناضول. واجتمع النواب الذين فروا من استانبول، مع النواب الجدد الذين انتخبوا من ولايات الأناضول، في أنقرة. وتم تشكيل مجلس الأمة التركي الكبير في 23 ابريل

---

[107]- عن رئاسة المجلس يقول مصطفى كمال :" إن انتخابي لرئاسة المجلس سيكون مفيدا، فقد أعلنت وجهة نظري إلى الأشخاص الذين يجب أن يعملوا في سبيل ذلك كل ما هو ضروري." انظر Rıza Nur, "Hayat ve Hatıratım", c.11, Altındağ yayınevi, İstanbul 1968, s.234

[108] - Kadir Mısıroğlu, " bir mazlum Padişah", a.g.e. s. 268

[109] - İsmail hakkı okday, "Yanya'dan ankara'ya", a.g.e. s. 239-241

[110] - Kazım karabekir, "İstiklal Harbimiz", Türkiye Basımevi, İstanbul 1960, s.550

يقول كاظم قره بكير: "الحقيقة إن الذي أقنع الإنجليز، واستمالهم إلى الضغط على مجلس المبعوثان العثماني الأخير هو رؤوف أورباي الذي كان مبعوثاً لسيواس في المجلس. والهدف هو ضمان أن ينتقل مركز الفعالية السياسية من استانبول إلى أنقرة. ورؤوف أورباي نفسه اعترف إلى فريدون كانداماير أنه فعل ذلك بناءً على اتفاق بينه وبين مصطفى كمال بينما هما في سيواس، حيث قال: (فعلت ذلك من أجل تأمين إنشاء مجلس ملي أي شعبي في الأناضول. فحتى تقام حكومة ملية فإنا مستعد للتضحية بنفسي في سبيل الضغط على المجلس المجتمع في استانبول)." انظر Feridun Kandemir, "Hatiralar ve Söyleyemedikleri ile Rauf Orbay", Yağmur Yayınevi, İstanbul 1965, s. 45

- ويعترف بهذه الحقيقة أيضا، حسن رضا سوياك، كاتب مذكرات مصطفى كمال باشا. وكان يلازمه دائماً حتى أخر أيام حياة مصطفى كمال. انظر Hasan Rıza Soyak, "Atatürk'ten Hatıralar", c.1, Yapı Kredi Yayınları, İstanbul 1973, s. 126- 127

- كما يؤكد رضا نور الذي كان مبعوثاً لسينوب في المجلس، على حقيقة ضغط الإنجليز على المجلس من أجل حله. انظر Kadir Mısıroğlu, " bir mazlum Padişah", a.g.e. s.166

1920. وكان التجاوز والاعتداء على المدينة التي تضم عرش السلطنة، بمثابة رسالة صريحة من دول الحلفاء بأن استقلال تركيا لم يعد موضوع بحث[111].

مؤتمر لندن (23 فبراير 1921)

بعد احتلال استانبول بالكامل في 16 مارس عام 1920، وبعد سقوط الحكومة التي تشكلت في ظل الاحتلال، جرت انتخابات في أنقره، ونجح مصطفى كمال فيها وشكل حكومة برئاسته وجمع النواب فيها. وهكذا وُجدت سلطتان تنفيذيتان في البلاد، إحداهما في استانبول، والأخرى في أنقرة. وبايعت الأناضول الخليفة في إستانبول، ولم يبقَ سوى أنقرة. فسارع الإنجليز بعقد معاهدة سيفر- التي وقعها الداماد فريد باشا ورفض السلطان التصديق عليها- في 10 أغسطس 1920 لإضعاف مركزه في مواجهة مصطفى كمال. ودعت دول الحلفاء، حكومة استانبول مع حكومة أنقرة معا لحضور مؤتمر صلح في لندن لحل المسألة الشرقية. فتم تشكيل وفد للانضمام إلى مفاوضات الصلح في لندن برئاسة بكير سامي ممثلاً لحكومة أنقرة، ووفد أخر برئاسة توفيق باشا ممثلاً لحكومة استانبول وللسلطان. وذهب الوفدان التركيان إلى هذا المؤتمر الذي حضره ممثلون من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا. وفي 23 فبراير 1921، غادر توفيق باشا المؤتمر الذي كان يمثل استانبول فيه، قائلاً للويد جورج عندما انتقد بشدة الذين يتزعمون الثورة الملية أي الشعبية: "لابد من نقل حق الكلام إلى سامي بك ممثل حركة المقاومة الشعبية ورئيس وفد أنقرة". وفشل المؤتمر بسبب إصرار الحلفاء على جعل ولاية إزمير تحت حكم اليونانيين[112].

الانتصار على اليونانيين ونتائجه

تشددت أنقرة تجاه استانبول بعد تحقيق النصر في حرب الاستقلال. وخلال الجلسة السرية التى انعقدت في مجلس الأمة التركي الكبير، لمناقشة موضوع إرسال ممثلين إلى مؤتمر الصلح الذي سينعقد في لوزان (1922-1923)، تمت مناقشة موضوع خلع السلطان وحيد الدين عن العرش. ومن الأسباب التي ساقها مصطفى كمال لتبرير ذلك، أن السلطان أصبح عاجزاً ومنقاداً للأجانب، وخاضعاً لهم[113].

في تلك الأثناء بينما تتزايد النفرة من وحيد الدين، ويزيد ادعاء الخيانة من الغضب الشعبي يوماً بعد يوم، كان وحيد الدين يسجد شكراً لله عند سماعه خبر انتصار الثورة ويكاد يطير من شدة سعادته. ولكن الانتصار على اليونانيين الذي كان له الفضل فيه،

---

[111] - كتاب الوطنية العثمانية، تأليف مدام بيرت جورج جوليس، مرجع سبق ذكره، ص 37 ، 46، 264

[112] - Kadir Mısıroğlu, "bir mazlum Padişah, Sultan vahideddin", a.g.e. s. 194

[113] - مصطفى كمال (غازي) نطق، تورك طيارة جمعيتي، أنقرة 1927، ص 421

تحول إلى نصر ضد السلطان. إذ بعد الانتصار- الذي أحرزه الجيش الذي تشكل بقيادة مصطفى كمال، بعد تأسيس مجلس الأمة التركي الكبير في أنقرة- على اليونانيين عقب الهجوم الذي وقع في 26 اغسطس 1922، وبعد تحقيق استقلال تركيا، والتوقيع على هدنة مودانيا في 10 اكتوبر 1922، تم إلغاء السلطنة في 1 نوفمبر 1922 بناءً على قرار المجلس. وبعد خمسة أيام استولى رفعت باشا على مقاليد الأمور في العاصمة استانبول بانقلاب مفاجئ، وتم إسقاط حكومة السلطان. وقابل رفعت باشا، السلطان في قصره، وطلب منه الموافقة على قبول مقام الخلافة بدلاً من سلطنة المشروطية المحددة بالقانون الأساسي، حتى ينقذ نفسه ومكانته. وأخبره إنه سيقوم بإرسال برقية حتى تعترف حكومة أنقرة وقانون التشكيلات الأساسية بذلك، وسيتولى مسئولية إقناع مصطفى كمال. رفض السلطان قبول تولي مقام الخلافة مجرداً من السلطنة، بعد فصل الخلافة عن السلطنة، لأنه كان يرى أن هذا الفصل يجعل المقام الذي يجمع العالم الإسلامي مجرد لفظاً بلا معنى، ويلقى بمقر الخلافة في وضع خطير[114].

طلب السلطان مراراً من رفعت باشا، ممثل حكومة أنقرة في استانبول، التحدث إلى مصطفى كمال من أجل التوصل إلى اتفاق، ولكن مرت شهور دون أن يتمكن من ذلك. كما أنه انتهز فرصة المولد النبوي، وأراد أن يهنيء مصطفى كمال وحكومته بانتصار الأناضول، ويسعى إلى الصلح معه، وأعلن عن رغبته تلك لأنقرة. لكن هناك احتمال كبير أن مصطفى كمال كان يتهرب من الحديث مع السلطان. وعندما لم يتلق السلطان أي رد جاد على رغبته، فقد الأمل من محاولة إقامة حوار أخير مع مصطفى كمال[115].

مفاوضات وحيد الدين لمغادرة استانبول

لجأ السلطان وحيد الدين إلى الإنجليز لمساعدته على مغادرة الوطن، لأنهم كانوا إحدى القوى المسيطرة على مقدرات تركيا بعد الحرب العالمية الأولى، وكانوا يحتلون استانبول في ذلك الوقت. وكان اللجوء إليهم، من أجل توفير وسيلة آمنة للخروج من

---

[114] ـ يقول السلطان وحيد الدين في مذكراته: "إن الخلافة في حد ذاتها سلطة. فهى تعني رئاسة القوة التنفيذية والتشريعية. فالخلافة مندمجة أساساً في السلطنة، ولكنها ليست من موجبات السلطنة، أي ليس كل سلطان يكون خليفة. إن حضرة نبينا جمع في شخصة المبارك بين السلطة والنبوة. فموكلي ذي الشأن كان يجمع بين القوة التنفيذية والقيادة. أما الخلفاء الراشدين الذين خلفوه كانت لديهم السلطة التنفيذية والقضائية، وذلك بموجب اسم الخليفة الذي يعني الوكيل. فكان كل واحد منهم في مقام السلطان. إن الخلافة بدون سلطنة تصير خلافة معلولة وموهومة، وذلك لأن حضرة رسول الله جمع بين النبوة والسلطنة. فلم يكن مبعوثاً من أجل قومه فقط مثل الأنبياء الآخرين، بل بُعث لنشر الدين بين الأمم جميعاً. ولكن لأن صفته كانت رسول الله وخليفة الله، فلا يمكن إطلاق وصف سلطان عليه. أما الخلفاء الراشدين، كانوا خلفاء حضرة محمد، وكانوا سلاطين على الأمة. ولذلك يستحيل أن تكون هناك خلافة بدون سلطنة، وإلا أصبحت مثل البابوية، وهذا أمر غير مشروع لأن الدين الإسلامي ليست فيه سلطة روحية. والشكل الأخير الذي يريد الكماليين إعطائه للخلافة، لا يصل حتى لمرتبة البابوية المستقلة في الفاتيكان. ولهذا فإنني لا أوافق على هذا الشكل، وإذا وافقت على ذلك فستكون إهانة لموكلي ذي الشأن ولأسرتي العلية. انظر Murat Bardakçı, "Şahbaba", a.g.e. s.174,417-426

[115] - Şevket Süreyya Aydemir, "Tek Adam", c.3, Remzi Kitapevi, Beşinci Baskı, İstanbul 1988, s. 61

الوطن[116]. وعلى هذا الأساس جرى التفاوض بين السلطان وحيد الدين، والسير الإنجليزي والمفوض فوق العادة(هوراس رامبولد)، في 6 نوفمبر عام 1922. ثم تشاور (رامبولد) مع نظرائه الفرنسيين والإيطاليين الموجودين في استانبول، حول ما يمكن عمله لمساعدة السلطان على مغادرة استانبول. وأرسل رسالة إلى السلطان وحيد الدين، حملها إليه مستر (ريان) كبير المترجمين في المفوضية الإنجليزية، أوضح فيها إنه سيسافر إلى لوزان في 15 نوفمبر، وعلى السلطان أن يرحل قبل هذا التاريخ، وإلا تعرض للخطر في حالة بقائه في استانبول. وأخبره أنه يجري الاتصال بالجنرال السير (تشارلز هارينجتون) القائد الأعلى للقوات الإنجليزية في تركيا[117].

واستمر التفاوض مع المختصين العسكريين الإنجليز الذين يتناولون موضوع رحيل السلطان وحيد الدين عن استانبول، عن طريق طبيبه الخاص رشاد بك[118]. وجرت المفاوضات الخاصة بموضوع مغادرة السلطان وحيد الدين للبلاد مع ممثلي الإنجليز في استانبول، بسرية تامة. وتم اختيار الأشخاص الذين جرى التفاوض بواسطتهم بكل عناية. ولم يعتمد السلطان وحيد الدين في هذا الأمر حتى على أقرب الياوران إليه[119]. فقد بدأ (محمد علي بك) المفاوضات مع الإنجليز، ثم انتقلت هذه المهمة بعد ذلك إلي القائمقام (زكي بك)[120].

قام الدكتور رشاد بك، مساء يوم 15 نوفمبر 1922، بإجراء مفاوضة قصيرة بشأن السفينة الإنجليزية (مالايا) الموجودة في البحر المحيط بقصر "دولماباغچة"، مع السير (دبليو دى دبليو ماثيوس) والقائد (ماكدونالد) والملحق البحري (أر إن)، من ممثلي

---

[116] -Kadir Mısıroğlu, "Osmanoğullarının Dramı", dördüncü basım, Sebil Yayınevi, İstanbul 1990, s. 107

[117] - أوضح (هوراس رامبولد) في تقرير بتاريخ 20 نوفمبر عام 1922 بعث به إلي اللورد (كيرزون)، وزير خارجية بريطانيا، أن السلطان برغم خوفه على حياته، كان يتباطأ في مغادرة استانبول. انظر Metin Hülagü, Tarih ve Medenyet, a.g.e. s. 28

[118] - حرض الدكتور (رشاد بك)، السلطان على الرحيل عن استانبول، ورحل هو نفسه معه. وقد عمل الدكتور (رشاد) بتحريض من أنقرة، سواء خلال فترة الإقامة في استانبول، أو خلال السنوات التي أعقبت اللجوء. ولكنه انتحر في (سان ريمو) بعد أن ترك خطاباً للسلطان أوضح فيه أنه خانه وخدعه. انظر Kadir Mısıroğlu, "Geçmişi ve Geleceği ile Hilafet", Sebil Yayınevi, İstanbul 1993, s. 276

[119] - يبدو أن السلطان لم يشأ أن يشترك في هذا التفاوض، توفيق باشا أو أولاده الاثنين، وهما من ياورانه، وهما المقدم أركان حرب (علي نوري) والمقدم أركان حرب (إسماعيل حقي)، وهو صهره في نفس الوقت. كما لم يشرك أيضا الأميرال السابق (فخري بك) النقيب بحري، وياوره الذي قدم بعد ذلك خدمات جليلة لأسطول الجمهورية. ولم يتخذهم كواسطة في هذا التفاوض لأنهم كانوا منحازين ومرتبطين جداً بحركة المقاومة الشعبية. انظر Tarık Mümtaz Göztepe, "Osmanoğullarını Son Padişahı Vahdeddin Gurbet Cehenneminde", Sebil Yayınları, İstanbul 1991, s. 12, 13,201-204

[120]- محمد علي بك: من أقرباء الأسرة السلطانية، ويجيد اللغة الإنجليزية، وهو قائمقام سلاح الفرسان وابن (رؤوف باشا) مشير السلطان الخاص. وزكي بك: هو شقيق زوجة وحيد الدين السابقة، وقائد الموسيقى الهمايونية في القصر. وقد عاش مع السلطان وحيد الدين في الغربة حتى وفاة السطان، وكان مسرفاً للغاية. وبعد فترة من وفاة السطان انتحر لأنه لم يتحمل حياة الفقر. انظر Tarik Mümtaz Göztepe, "Osmanoğullarını Son PadişahıVahdeddin Gurbet Cehenneminde", a.g.e. s. 13

الإنجليز. وأفاد الدكتور (رشاد) في هذا التفاوض بشكل واضح، أنه يخشى أن تتعرض حياة السلطان للخطر، وأوضح أنه لابد من التوصل إلي قرار في الحال مع زكي بك[121].

ومن هذا المنطلق ذهب المستر (ماثيوس) في نفس المساء إلى منزل الجنرال السير (تشارلز هارينجتون). وأجرى مباحثات مع الجنرال (هاستينجز أندرسون) والمقدم (كولستون) والملازم (كاندال). ورأوا أنه يجب عمل الاستعدادات الخاصة برحيل السلطان بسرعة. وفي عربة تاكسي يرتدي سائقها طربوش حتى لا يلفت الانتباه، وعن طريق حي (تقسيم)، ذهب السير ماثيوس والملازم كاندال- بناءً على اقتراح الجنرال (هارينجتون)- إلى قصر جالاطة سراي للالتقاء بزكي بك. وتم إجراء المفاوضات المتعلقة بمسألة رحيل السلطان وحيد الدين، نظراً لأن التليفون وسيلة غير مأمونة في عمل مفاوضات سرية. وكانت الساعة حوالي 7 أو 8 مساءاً، وكانت الشوارع هادئة حول القصر، وتخلو من المارة. وفي هذا اللقاء أفاد زكي بك أن السلطان وحيد الدين يرغب في مغادرة استانبول. وبعد مناقشات طويلة استمرت ثلاث ساعات، تقرر أن يغادر السلطان وحيد الدين القصر صاعداً من باب (أورخانية) في الساعة 8 صباح يوم الجمعة الموافق 17 نوفمبر. وحُددت تلك الساعة، لأنها الوقت الذي يخلو فيه المكان من الحرس. وطلب ممثلي الإنجليز من السلطان خطاباً رسمياً ينص على أنه طلب اللجوء إلي الإنجليز[122]. وسبب هذا الطلب هو للحيلولة دون وضع حكومة لندن في موقف الذي قام بإجبار السلطان على الهرب، وحتى لا تسيء العلاقة بين إنجلترا وأنقرة، وبينها وبين العالم الاسلامي[123].

وتقرر أن يكون في معية السلطان ابنه أرطغرل و زكي بك والياور عمر باشا وخمسة أو ستة أشخاص آخرين يحدد زكي بك أسمائهم[124].

وسلم القائمقام زكي بك خطاب اللجوء إلى الجنرال هارينجتون في 16 نوفمبر 1922، في مقر مكتب الحربية في (بانجالتي)[125].

رحيل السلطان عن استانبول

في التاريخ الذي تقرر لرحيل السلطان وحيد الدين، وضُع العقيد (ستيلا) قائد لواء حرس استانبول، وكتيبة الحرس الخاص للسيد (ماثيوس)، والملازم (كاندال)، كدليل

---

[121] -İlhan Bardakçı, "Vahdeddin`den Mustafa Kemal`e", Türk Edebiyatı Vakfı, İstanbul 1993, s. 108

[122] -Public Record Office, Foreign Office Archives no: 371/ 7962. 163552, 20 November 1922

[123] -Ilhan Bardakçı, "Vahdeddin`den Mustafa Kemal`e", a.g.e. s. 110.

[124] - Metin Hülagü, Tarih ve Medenyet ,a.g.e. s. 29

[125] - هذاهو خطابه الذي يحمل عنوان: (البلاط الهمايوني السلطاني): "إلى جناب الجنرال هارينجتون، قائد جيوش احتلال دار السعادة. إنني ألجأ إلى فخامة دولة الإنجليز، لأنني أرى أن حياتي في استانبول معرضة للخطر، ولذلك أطلب منكم نقلي من استانبول إلى مكان أخر." وهو مؤرخ بتاريخ 16 تشرين ثاني 1922، وبتوقيع خليفة المسلمين محمد وحيد الدين. انظر Necip Fazıl kısakürek, "Sultan Vahiduddin", a.g.e. s 242

عند باب عثمانية. وقام الضابطان بنقل السلطان ومعيته داخل سيارة إسعاف، وساروا في خط سير يمر بمزرعتي (بالموقچو ونيشان طاش). وصلوا إلى (بشيك طاش)، ومن هناك وصلوا إلى القاعدة البحرية التي أمام (طوبخانة) في الساعة 830 تقريباً. وكان في استقبال السلطان وحيد الدين هناك الجنرال (هارينجتون)، وقائد الأركان العامة السير (هاستنجز أندرسون)، ومساعد المفوض الإنجليزي فوق العادة في استانبول السير (نافيل هاندرسون)، والعقيد (بايرد).

ركب السلطان في الحال سفينة بخارية تسمى (يلديرم)، أُخذته إلى سفينة حربية تسمى (مالايا)[126]، تحت إدارة القبطان (باين)، واستقبله الأميرال السير (اوزموند بروك) القائد الأعلى لأسطول البحر الأبيض، بكل احترام. وضمن الجنرال (هارينجتون) أمن وسلامة موظفي القصر، وباقي أفراد عائلة السلطان الباقية في استانبول، تطبيقاً للخطة السابقة التي نُفذت في صباح يوم 17 نوفمبر1922[127].

وعند مغادرة السلطان وحيد الدين لاستانبول. لم يكن بجانبه من أسرته سوى ابنه الأمير أرطغرل أفندي، أما معيته فكانت تضم زكي بك قائد الموسيقى الهمايونية السابق وياوره، وعوني باشا رئيس الياوران، واثنان من أغاوات الحرم، والباشطبيب رشاد باشا، ورئيس موظفي القصر الياور عمر باشا، وزهدي بك مبعوث (نائب) سينوب السابق، والسيدان مظهر وخير الدين أفندي من أصحابه، وإبراهيم المسئول عن الملابس، وشكري المسئول عن التبغ، ومحمود بك رئيس الحلاقين... وغيرهم من مسئولي الخدمة، مثل: المسئول عن سجاجيد الصلاة والمسئول عن الإبريق128.

وبعد مغادرة السلطان وحيد الدين استانبول، علي ظهر المدرعة الإنجليزية (مالايا) التابعة لأسطول البحر الأبيض- وبينما هولايزال في السفينة- أرسل هارنجتون رسولاً إلى رفعت باشا يخبره بما حدث، كما قام بإعداد بيان أذاعه على الشعب. وأدلت وكالة (تي اتش أر)- نقلاً عن قيادة قوات الاحتلال الإنجليزي في استانبول- بهذا الخبر الرسمي: "نظراً للوضع الراهن للذات الشاهانية، تعلن إنجلترا رسمياً: أن السلطان طلب حماية إنجلترا له بصفته خليفة جميع المسلمين، وأنه أبدى رغبته في مغادرة استانبول في الحال، حفاظاً على حياته وحريته. وقد نُفذت رغبة الذات الشاهانية هذا الصباح"[129].

---

[126] - كانت السفينة (مالايا) عبارة عن سفينة حربية مهداة لإنجلترا من مسلمي جزر الملايو. وهى مسماه علي اسم هذه الجزر القديمة. وكانت الحكومة الإنجليزية- بينما تقوم بإبعاد وحيد الدين، الخليفة عن استانبول- تصور نفسها بأنها تقدم جميل إلى العالم الإسلامي، وإلى مسلمي الملايو الذين أهدوها هذه السفينة، بتخصيصها لخدمة السلطان، مما يمكنها من السيطرة على مشاعرهم، وتوجههم الديني تجاه الخليفة.

ولغرابة التاريخ! فإن السفينة (مالايا) التي حملت أخر سلطان عثماني إلى الغربة، شاركت في مراسم جنازة مصطفى كمال، أول رئيس للجمهورية التركية عام 1938، أي بعد 16 عاماً من رحيل السلطان وحيد الدين. انظر Kadir Mısıroğlu, "bir mazlum Padişah, Sultan vahideddin", a.g.e. s.335

[127] -Public Record Office, Foreign Office Archives no: 371/ 6469. 163650

[128] - Kadir Mısıroğlu, "Osmanoğullarının Dramı", a.g.e. s. 184 – 185.

[129] - Public Record Office, no: 371/ 9119. 162922, 20 August 1923

ولم يستطع أفراد أسرة السلطان اللحاق به إلا بعد 16 شهراً من رحيله عن استانبول، عندما أصدر مجلس الأمة التركي الكبير، في 3 مارس 1924، القانون رقم 431 الذي ينص على ضرورة مغادرة أفراد الأسرة السلطانية الوطن. هذا بالرغم من قيام وحيد الدين خلال إقامته في منفاه في (سان ريمو)، بإرسال طلبات عديدة، في أوقات مختلفة، إلي وزير خارجية إنجلترا اللورد (كيرزون)، من أجل أن يساعده في إلحاق أسرته به، ولكنه لم يتلق رداً علي أي منها، أو أية مساعدة من جانبه في هذا الموضوع[130].

بعد تحرك السفينة (مالايا)، أخبر الإنجليز وحيد الدين بأنه يتعين أولاً الذهاب إلى جزيرة مالطا- القاعدة البحرية الإنجليزية- لأن السلطان لم يحدد في بداية الأمر مكان معين يمكن تهيئته لإقامته. وكان لورد كيرزون قد اعتذر للسلطان من قبل عن عدم إمكانية السماح له بالاستقرارفي قبرص، عندما رغب وحيد الدين في ذلك؛ وذلك لأسباب سياسية حيث سيُساء فهم ذلك الأمر، وسيؤدي إلى سوء العلاقات بين إنجلترا وتركيا. ولهذا السبب وصل السلطان ومعيته في 21 نوفمبر 1922، صباح يوم الثلاثاء في وقت مبكر، إلى الجزيرة. وفي أثناء توجه السلطان بالسفينة الحربية الإنجليزية إلى مالطا، أعلنت أنقره خلعه من مقام الخلافة بعد أن وصمته بالخيانة، وانتخبت عبد المجيد أفندي خليفة مكانه. وقبل دخول وحيد الدين الجزيرة، رجاه المفوض الأعلى السير (نافيل هندرسون) بأن يؤخر إعلان مغادرته استانبول حتى ظهر ذلك اليوم؛ نظراً لعدم علم شعب الجزيرة بأنه سوف يأتي إلى جزيرتهم131. مكث وحيد الدين في الجزيرة 45 يوماً، ثم توجه إلى الحجاز132.

---

130 Tarik Mümtaz Göztepe, "Osmanoğullarını Son Padişahı Vahdeddin Gurbet Cehenneminde", a.g.e. s.15

131 - Public Record Office, op.cit, no: 371/ 6469. 163650

132 ـ كانت الحجاز في ذلك الوقت تحت سيطرة الشريف حسين بن علي، الذي قاد العصيان العربي الذي تفجر منذ الحرب العالمية الأولى، وأُعلن أميراً على الحجاز عام 1916، ثم ملكاً عام 1918، ولم يكن ينقصه سوى الخلافة. انظر Murat Bardakçı, "Şahbaba", a.g.e. s. 276,277

زيارة مكة[133]

عندما علم الملك حسين - الذي كان يمثل الخلافة في الحجاز- أن وحيد الدين رحل عن استانبول وذهب إلى مالطا، كتب خطاباً إلى السلطان يدعوه إلى الحج[134]. تأثر السلطان وحيد الدين بهذه الدعوة حيث وجدها فرصة لتسكين ألم فراق الوطن[135].

---

[133]- على مدى ستة قرون لم يؤدِ أي سلطان عثماني فريضة الحج، وحتى وحيد الدين؛ فبرغم زيارته لمكة فإنه أدى عمرة فقط، ولم يحج أيضا. انظر المرجع السابق ص 298

[134] - يقول كل من الكاتبين التركيين، مراد برداقچي ونجيب فاضل قيصه كورك: "إن ما شجع أمير الحجاز على توجيه دعوته إلي السلطان، قوله وهو في الطريق الى مالطا، بعد مغادرته استانبول: (ليس من صلاحية أي أحد عزلي من مسئوليتي سوى حضرة جناب الرسول، وإنني أحافظ حتى الآن على السلطنة والخلافة)، وكان الغرض من توجيه هذه الدعوة هو انتزاع مسئولية الخلافة من السلطان الذي أصبح لا حيلة له. فقد كان هدف الملك حسين هو استغلال قوة النفوذ المعنوي للخلافة في تشكيل وحدة سياسية بزعامته، في أنحاء شبه الجزيرة العربية. وسعى إلى إخفاء هذا القصد الحقيقي من وراء ستار الدعوة البريئة، وحتى يتحقق له ذلك أبدى احترام شديد في دعوته للسلطان. انظر Murat Bardakçı, "Şahbaba", a.g.e. s.122 and Necip Fazıl kısakürek, "Sultan Vahiduddin", a.g.e. s. 234

- انظر ملحق الوثائق ص 297 ، وثيقة رقم (1) ص 298

- نشرت جريدة القبلة مقالة بعنوان: "الحق لا يعدم أنصاراً "، أشارت فيه إلى الحديث الذي أُجراه محرر جريدة وقت، مع المستر كراين. وهو الحديث الذي نشرته جريدة اللواء المصري، في عدد 315 بتاريخ 13 رجب 1923، مترجماً عن صحيفة وقت. فقد سأل المحرر قائلاً: ما هو قصد الملك حسين من دعوة محمد السادس؟ فأجاب المستر كراين قائلاً: لقد تحدثت مع الملك حسين في هذا الخصوص في جدة، فأكد لي أن هذه الدعوة لا تنطوي على أي مقصد سياسي، وأن الدعوة كانت شفقة منه على محمد السادس الذي كان يفضل أن يقضي بقية حياته في بلاد إسلامية بدلاً من مالطا. ولا يريد الملك حسين أن يكون ألة للسياسة الأجنبية، وإنما يرمي إلى التمسك بطلب الاستقلال لبلاده، وتحقيق الاتحاد العربي. وهو يجاهد في سبيل تنفيذ المعاهدة المبرمة بينه وبين إنجلترا في عام 1915. انظر جريدة القبلة، العدد 672 بتاريخ 22 مارس 1923، ص 3 ، وجريدة اللواء المصري، العدد 315 ، 13 رجب 1923.

[135] - كان وحيد الدين يدرك أن زيارته للحج تكتنفها مخاطر جمة، وسوف تُستغل سياسياً أسوأ استغلال؛ لذلك أعلن في خطابه الذي كتبه إلى ابنته صبيحة، عن نيته قبول دعوة الملك حسين، وكيف توصل إلى قراره؟ إذ يقول:

"... لما كنا لن نواصل الإقامة في مالطا، وهناك احتمال للعودة إلى وطننا العظيم، وحتى تحين هذه اللحظة السعيدة، يجب أن أبقى بصفتي الشخصية، محافظاً على هيبتي، وكرامتي. ونظراً لما أتمتع به من حيثية، لايصير مناسباً الإقامة في دولة أجنبية؛ ولذلك رأيت أنه قد آن الأوان لأن ألجأ إلى الروضة المطهرة، وإلى حضرة صاحب الرسالة. ويدفعني لذلك إحساسي الديني، وحرماني من أسرتي، وظروفي الحالية. وكان تفكيري في اللجوء إلى حضرة النبي والعيش إلى جواره في بلده، ليس معناه أبداً إنني ألجأ إلى الملك حسين. فإن هذه البلدة المباركة هى دار الإيمان، ودار كل المسلمين، وليس من حق أي واحد أن يدّعي حق تملكها، أو التحكم فيها. ولذلك فإنني عقدت العزم على التوجه إلى المدينة مباشراً، كأي فرد مسلم عادي، وكنت سأخبر الملك حسين بأنني أعتزم الذهاب إلى المدينة. إذ من المناسب إشعاره بذلك من أجل الاحتياط. ولكن قبل أن أخبره بقراري، دعاني الملك حسين لزيارة مكة، من خلال البرقيات التي انهالت علي الواحدة تلو الأخرى. وهكذا جاءت هذه الدعوة، في الوقت الذي كنت أفكر فيه بالفعل في القيام بهذه الزيارة. ورأيت أنني بذلك سأتمكن من زيارة بيت الله، ثم الذهاب بعد ذلك إلى المدينة. وجناب الحق والرسول يعلمان أن هذه المحاولة ليس ورائها أي غرض سياسي، أو تحريض خارجي، بل كانت بسبب تأثير فراق الوطن، وبدافع من حسي الديني." انظر Yılmaz Çetiner, "Son Padişah Vahdettin", Milliyet Yayınları, İstanbul 1993, s. 319 – 320

وهذا هو رد السلطان وحيد الدين علي دعوة الملك حسين:

"إنني كنت أفكر بالفعل في الذهاب إلي الحجاز من أجل أن أكحل عيني برؤية مقام النبي، ولذلك فإنني أقبل هذه الدعوة إيماناً مني بإنها بشرى معنوية لا مثيل لها، وأعتبرها دعوة من حضرة رسولنا الكريم." انظر Tarik Mümtaz Göztepe, "Osmanoğullarını Son Padişahı Vahdeddin Gurbet Cehenneminde", a.g.e. s. 39

وبناءً علي ذلك غادر مالطا. وخلال توجهه إلى الحجاز مر بمصرحيث علم هناك بنية الملك حسين، ورغم ذلك توجه إلى مكة[136]. وبرغم الاحترام والإكرام من جانب الملك حسين، ومعاملته بوصفه واحد من السلاطين العثمانيين، فإن إنفاقه ببذخ طيلة مدة زيارة وحيد الدين، وإكرامه المبالغ فيه، كانا سبباً لزيادة شكوك السلطان[137]. وفي أثناء إقامته بمكة، نشر أول بيان خاطب به العالم الإسلامي، تحدث فيه عن الحرب العالمية الأولى، وعن معاهدة سيفر، وهدنة موندروس، ومسألة فصل السلطنة عن الخلافة، وعن الحرب القومية وزعمائها[138].

وعندما تيقن السلطان وحيد الدين من غرض الملك حسين، قرر مغادرة الحجاز وهو يحمل لقب الخلافة والسلطنة. وحتى لا يصبح ألعوبة في يد أي فرد، اتخذ قراره بالتوجه إلى حيفا[139]. ولكن الحكومة التركية رفضت أن يقيم في فلسطين، واقترحت أن يقيم في سويسرا، ورجح هو أن يقيم في إيطاليا؛ لأنها في رأيه دولة محايدة، ومناسبة أكثر للاستقرار فيها[140].

وفاة السلطان وحيد الدين

كان وحيد الدين يتصور طيلة أيام غربته في إيطاليا -التي استمرت ثلاثة أعوام ونصف العام- أنه سوف يعود إلى وطنه مرة أخرى. وكان يأمل في ذلك بالفعل، وحتى

---

[136] - في أثناء وجود وحيد الدين في مصر، يكشف خطاب جاءه من (سيد طالب) مبعوث سابق لمصر في البصرة، وهو صاحب نفوذ كبير، الغرض الحقيقي من دعوة الملك حسين. فيقول: "سلطاننا العظيم ذو القدرة والشفقة، ولي نعمتنا وحضرة الخليفة. يؤسفني أن أقول أن استجابتكم لدعوة الملك حسين –عفواً- تكشف عن غشاوة كبيرة حجبت النجابة السلطانية. فهذه الدعوة التي تبدو في ظاهرها أن الملك حسين يسعى إلى إظهار صداقته وعبوديته لمقام الخلافة المقدس، فهو في الحقيقة يسعى لانتزاع الخلافة لنفسه. ومن أجل إثبات صحة هذا الادعاء، فإنني أخبرك أن فيصل بن الحسين- ذلك الملك الموجود في سوريا- يذكر منذ فترة طويلة اسم والده في الخطبة مقترناً بصفة الخليفة، وفي هذا دليل كافٍ على ما أقول." انظر Tarik Mümtaz Göztepe, "Osmanoğullarını Son Padişahı Vahdeddin Gurbet Cehenneminde", a.g.e. s.66

[137] - انظر المرجع السابق، ص 87

[138] - هذا البيان يدافع فيه وحيد الدين عن نفسه. وهومنشورفي كتاب قدير مصر أوغلي، كما نشرته أيضا صحيفة سبيل. انظر Kadir Mısıroğlu, "bir mazlum Padişah, Sultan vahideddin", a.g.e. s. 248 ve Sebil Gazetesi, 8 Eylül 1978

- النص العربي لهذا البيان منشور في حسين بن محمد نصيف، ماضي الحجاز وحاضره، ص 76، وهى نسخة مصورة عن مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض، المكتبة المركزية، الرقم العام20288. وهناك ترجمة لهذا البيان الذي كتبه السلطان محمد وحيد الدين باللغة العثمانية إلى اللغة العربية، لشيخ الإسلام مصطفى صبري، وقد طُبع منه نسخ متعددة في مطبعة الحكومة بمكة، باللغتين العربية والتركية.

وقد نُشر هذا البيان باللغة العربية في مجلة المنار الجديد. انظر ماجدة مخلوف، بيان السلطان محمد وحيد الدين، أخر السلاطين العثمانيين، مجلة المنار الجديد، ابريل 2005، ص 118

[139] - انظر ملحق الوثائق ص 297، الوثائق أرقام (2، 3) ص 299 ، 300

[140] - يقول نجيب فاضل قيصه كورك: إن الملك حسين كان يترقب فرصة أن يحصل من وحيد الدين في أقرب وقت، على الوثيقة التي تعلن تنازله طواعية عن الخلافة، ومبايعته على ذلك. و كان هذا هو سبب الإكرام والاحترام والبذخ الشديد. فقد كان يظن أنه سيكسب ود وحيد الدين، عندما يضعه تحت يده بشكل مستمر، غارقاً إياه في الذهب. انظر Necip Fazıl kısakürek, "Sultan Vahiduddin", a,g,e, s. 234

في لحظات يأسه، لم ينقطع أمله هذا. كان مقتنعاً برغم كل شيء أنه ذات يوم سيعود إلى بلده، ويستعيد التاج والعرش[141]. كما أن جميع من كانوا في الغربة، كانوا يتعقبون السنين عاماً بعد عام، بصبر شديد، منتظرين صدور العفو، ومنح الأسرة العثمانية الأذن بالعودة إلى الوطن[142].

وفي ليلة 16 مايو عام 1926، بعد أن تناول العشاء، جمع كل من في القصر، من السيدات والحريم في حجرته، وأخذ يتسامر معهم، ويتحدث أحاديثاً حلوة حتى وقت متأخر من الليل. كان يتحدث عن عودته إلى استانبول وإلى قصر الإمارة في (چنگل كوي). وكان كل واحد منهم يروي حديثاً شيقاً عن ذكريات الشباب، والرفاهية التي ولت. وكانت هذه الذكريات، هي أخر ما رواه، فقد توفى في تلك الليلة.

وبسبب إنه لم يدفع إلى الباعة الذين حول منزله، 120 ألف ليرة - دين عليه- تم الحجز على تابوته لمدة 15 يوماً. وكانت هذه أول مرة في التاريخ يُحجز فيها على تابوت حاكم سابق، بسبب دين لم يدفعه. وعندما فتحوا الخزينة التي كان يحتفظ فيها بأوراقه ونقوده عند موته، لم يجدوا فيها سوى4 ليرة ذهب وربع ليرة ونيشان (أسرة آل عثمان) المنزوع منه أحجاره الكريمة. وهذا لا يكفِ لسداد الدين[143].

ولم تقم تركيا بدفع دينه، أو تخليصه من الحجز. كما لم تسمح له بالدفن في تراب الوطن. ولم تبدِ حتى في لحظة موته أي خير أو وفاء له. وفي النهاية - وإن جاء هذا متأخراً- قام الملك حسين ملك الحجاز السابق، والملك فيصل ملك العراق، وعمر طوسون باشا من أمراء مصر، بإرسال مساعدات نقدية تم بها تصفية الدين، وتخليص الجنازة من الحجز. وتم إحضار نعشه إلى الشام، في موكب جنازة برعاية أحمد سامي بك، الزوج السابق للأميرة عائشة، إحدى بنات السلطان عبد الحميد الثاني. وتم دفنه في ساحة جامع السلطان سليم (ياووز) في دمشق[144].

لم يكُف السلطان وحيد الدين - حتى في لحظات حياته الأخيرة- عن ذكر وطنه، وعن أمله في العودة. وعندما أدرك أنه لن ينال هذه الرغبة، قال هذه الكلمة، كوصية لأحد المقربين له:

"عندما تعودوا إلى الوطن قولوا إنني لم أخن وطني!"[145].

---

[141] -Tarik Mümtaz Göztepe, "Osmanoğullarını Son Padişahı Vahdeddin Gurbet Cehenneminde", a.g.e. s. 195.

[142] - Yılmaz Çetiner, "Son Padişah Vahdettin", a.g.e. s. 359.

[143] - Tarik Mümtaz Göztepe, "Osmanoğullarını Son Padişahı Vahdeddin Gurbet Cehenneminde", a.g.e. s. 112, 198

[144]- المرجع السابق، ص 202

[145]- Kadir Mısıroğlu, " bir mazlum Padişah, Sultan vahideddin", a.g.e. s. 94